بطريركية الأقباط الأرثوذكس
أسرة خريجي الكلية الإكليريكية بالإسكندرية
مركز البابا كيرلس عمود الدين للدراسات اللاهوتية

باسم الثالوث القدوس

كورس الكنيسة في الثلاث قرون الأولى

المحاضرة الثانية

البدع والهرطقات في الثلاث قرون الأولى - القمص بنيامين المحرقي

موضوعنا اليوم عن الهرطقات التي كانت في الثلاث قرون الأولى المسيحية، مهم لنا أن نعرف كيف عاشت الكنيسة في هذه القرون

أولاً: لو كانت هرطقة في وقت ما وليست موجودة الآن فلماذا ندرسها؟

هي ليست موجودة بالمسمى ولكن موجودة بالمضمون فالشيطان يضع أفكاره كل فترة بشكل معين فنجد هرطقات مُعاشة حالياً بصورة أخرى فنجد الإدفنتست وشهود يهوه لم يأتوا بجديد فنجد آريوسية ونسطورية وغنوسية نفس الفكر القديم لم يأتوا بجديد فنجد مجمع هرطقات.

من ناحية أخرى عندما ندرس هذه البدع والهرطقات تُعطينا اللاهوت العقيدي بصورة أعمق.

إذا كان الله سمح بالهرطقات وما يترتب عليها من أضرار كثيرة لكن في نفس الوقت لها فائدة لنا فقد أبرزت أباء كنيسة عِظام جعلتنا ندرس ونتعمق في الدراسة، فالقديس هيلاري أسقف بواتيه يقول أن الهراطقة أجبرونا أن نتكلم في ما يجب أن نتكلم فيه بمعنى الكلام في اللاهوت لابد من الحذر فنحاول أن نتمسك بأقوال الآباء وكتابات وعبارات الآباء حتى في الأمثلة التي نقولها في شرح العقيدة لابد أن نتمسك بأقوال الآباء فيها فالقديس ديديموس الضرير تكلم عن الثالوث والروح القدس وذكر أمثلة كثيرة، القديس أثناسيوس في "ضد الوثنيين" ، القديس كيرلس تكلم عن "التجسد" وذكر أمثلة كثيرة.

سنتحدث عن الهرطقات التي بدأت فيها الكنيسة

السحرة في ذلك الوقت كان لهم علاقة بالفلسفات وليس الدجل والشعوذة سيمون الساحر من الأمثلة التي ذكرها سفر أعمال الرسل

أشهر الهرطقات في القرون الثلاثة الأولى

السيمونية

واجه الكارزون الأولون بالمسيحية مقاومة من السحرة، مثلما جرى مع عليم الساحر الذي قاوم القديس بولس الرسول.

السيمونية: نسبة إلى سيمون الساحر، المجوسي الذي أراد أن يشتري موهبة الرب بدراهم. وتعرف السيمونية بأنها المُتاجرة بموهبة الله في الكنيسة، ظهرت البدعة منذ عصر الرسل "وَكَانَ قَبْلًا فِي الْمَدِينَةِ رَجُلٌ اسْمُهُ سِيمُونُ، يَسْتَعْمِلُ السِّحْرَ وَيُدْهِشُ شَعْبَ السَّامِرَةِ، قَائِلًا إِنَّهُ شَيْءٌ عَظِيمٌ !وَكَانَ الْجَمِيعُ يَتْبَعُونَهُ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ قَائِلِينَ: «هذَا هُوَ قُوَّةُ اللهِ الْعَظِيمَةُ. وَكَانُوا يَتْبَعُونَهُ لِكَوْنِهِمْ قَدِ انْدَهَشُوا زَمَانًا طَوِيلًا بِسِحْرِهِ. وَلكِنْ لَمَّا صَدَّقُوا فِيلُبُّسَ وَهُوَ يُبَشِّرُ بِالأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللهِ وَبِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، اعْتَمَدُوا رِجَالًا وَنِسَاءً .وَسِيمُونُ أَيْضًا نَفْسُهُ آمَنَ. وَلَمَّا اعْتَمَدَ كَانَ يُلاَزِمُ فِيلُبُّسَ، وَإِذْ رَأَى آيَاتٍ وَقُوَّاتٍ عَظِيمَةً تُجْرَى انْدَهَشَ." (أع٨:٩ –١٣)

قوة الله العظيمة: وتعني الله القوي أو يهوه الجبار. وأنه جمع في شخصه كمالات اللاهوت.

ان سيمون الساحر (ماجوس) شخصية خطيرة، لها سمعتها في الوسط التاريخية والعلمية، استخدم وسائل شيطانية كثيرة، وحسبه الجميع قوة الله العظيمة.

لكن التاريخ الكنسي والمعلمين الأوائل يذكرون سيمون على أنه: رأس الهراطقة ومنشئ كل بدعة يقول عنه يوسابيوس المؤرخ الذي ذكر أيضاً "جميعهم ادعوا الألوهية في القرن الأول وعّلموا مثل ما عّلم سيمون الساحر" ويرى البعض أن مينانذروس تتلمذ على يد سيمون وعلم في السامرة وأنطاكية. وبحسب القديس إيريناوس كان يجول بامرأة تدعى هيلانة دعي أنها من تجسد سابق من إله العقل أو من فكر الإدراك الإلهي، الذي خرجت منه كل القوة الملائكية والمادية. فيقول: إن سيمون قال بإله ذكر أعلى وبفكر ennoia منبثق من الإله الأعلى واعطاني أنثى موازية له وهذه خلقت الملائكة الذين خلقوا العالم وحُبس هؤلاء الملائكة في جسم امرأة واوقعوا بها حسداً أنواعاً من الإهانات وأن ennoia هذه هي هيلانة التي صارت زانية عاهرة في مدينة صور وهي ما عبر عنها بالخروف الضال وأنه فداها وحررها (سيمون).

ومما قاله سيمون أيضاً (إن الإله الأعلى أظهر نفسه بصفة الابن يسوع بين اليهود وبصفة الآب بين السامريين في شخص سيمون وفي بلاد أخرى بصفة الروح القدس)

– الغنوسية فلسفة غير مسيحية أما خطورة هذه البدعة "السيمونية" هي تشكيل الفلسفة بشكل مسيحي أو يهودي.

يوستين الشهيد في دفاعه الأول يذكر كيف استطاع هذا الساحر أن يجتذب أشخاصاً يكرسون حياتهم لنظامه بواسطة قوة السحر، ليس فقط في السامرة، بل وفي إنطاكية أيضاً روما، فيقول أن معظم السامريين والبعض من البلاد الأخرى عبدوا سيمون كإله وربطت به امرأة تدعى هيلانة التي إدعى سيمون أن فكره الأول تجسد منها وكانت هيلانة هذه امرأة عاهرة تتجول معه.

وقد عُمل له تمثال في روما نُقش عليه "تذكار لسمعان (سيمون) الإله المُقدس".

وقد آثار الحُكام في روما ضد المسيحيين ويُقال إنه دخل في صراع مرير مع القديس بطرس انتهي بدحضه.

العلامة أوريجينوس يذكر أن جماعة السيمونيين أصبحت جماعة كل هدفها هو تخريب الكنيسة في منتصف القرن الثالث الميلادي.

وفي كتاب أبوكريفا يهودي أن الشعب في مصر كان يخرج وراء يوسف الصديق ويصيحون "الله والقوة الذي من الله" والترجمة الدقيقة هي "هذا هو قوة الله، الإله الذي يُدعى العظيم".

تسبب سيمون في عزل بيلاطس البنطي فقد أعلن إنه سيذهب إلى جبل جرزيم، ويستخرج من تحت أنقاض هيكل جرزيم الأنية، التي كان يستخدمها موسى النبي نفسه، فانطلقت وراءه الجماهير كما اضطر بيلاطس البنطي أن يرسل حملة من الجنود، فحدثت مذابح رهيبة، وقد اشتكى السامريون للحاكم الروماني في سوريا، فأبلغ روما التي استدعت بيلاطس بلا عودة.

- **نهاية سيمون الساحر:**

يرى هيبوليتس أنه في استعراض له بروما طلب أن يدفنوه حياً، مُدعياً أنه سيقوم في اليوم الثالث، فدُفن ولم يقم. يقول لوقا البشير: "وَلكِنْ لَمَّا صَدَّقُوا فِيلُبُّسَ وَهُوَ يُبَشِّرُ بِالأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللهِ وَبِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، اعْتَمَدُوا رِجَالًا وَنِسَاءً." (أع٨:١٢) ولكن لما صدقوا فيلبس: وكأنهم قارنوا بين الحق الذي شهد له فيلبس الرسول، والسحر والأعمال المبهرة التي مارسها سيمون، فأعطى الروح القدس قوة لكرازة فيلبس، حطمت أباطيل إبليس وجنوده.

بدعة النيقولاويين

السيمونية هرطقة إيمانية، بدعة النيقولاويين هي هرطقة أخلاقية.

نيقولاؤس الدخيل الانطاكي من السبعة شمامسة الذين اختارهم الرسل لخدمة الموائد.

هو أحد الشمامسة السبعة الذين اختارهم الآباء الرسل (أع ٥:٦) وكان دخيلاً إنطاكياً، وإليه تُنسب بدعة النيقولاويين التي أشار عليها سفر الرؤيا مرتين في الأولى مدح الرب أسقف كنيسة أفسس لأنه يبغض

أعمال النيقولاويين "وَلكِنْ عِنْدَكَ هذَا: أَنَّكَ تُبْغِضُ أَعْمَالَ النُّقُولاَوِيِّينَ الَّتِي أُبْغِضُهَا أَنَا أَيْضًا" (رؤ٢: ٦)، وفي الثانية تحذير ووعيد لأسقف كنيسة برغامس لأن بين رعيته. من هو متمسك بتعاليمهم "هكَذَا عِنْدَكَ أَنْتَ أَيْضًا قَوْمٌ مُتَمَسِّكُونَ بِتَعْلِيمِ النُّقُولاَوِيِّينَ الَّذِي أُبْغِضُهُ .فَتُبْ وَإِلاَّ فَإِنِّي آتِيكَ سَرِيعًا وَأُحَارِبُهُمْ بِسَيْفِ فَمِي" (رؤ٢: ١٥- ١٦).

يوجد خلط بين تعاليم بلعام بن بعور وتعاليم النيقولاويين.

واعتقد بعض العلماء ومنهم فيترنجا في العصور القديمة والحديثة أن النيقولاويين هم من يتبعون تعاليم بلعام أو تفكيرها يقتربان من بعضهما البعض، وقد أسسوا نظريتهما على أن كلمة نيقولاوس وكلمة بلعام بالعبرانية لهما معنى واحد ولكن بالرجوع للآية في سفر الأعمال التي ذكر فيها اسمه دل على أنه كان دخيلاً أنطاكياً وقد يكون اسمه ليس بالمعنى العبراني كما أن السيد المسيح يكلم أسقف برغامس في سفر الرؤيا عن أن هذين المذهبين متميزين الواحد عن الآخر.

ومعلوماتنا عن النيقولاويين ضئيلة للغاية، فقد قيل أنهم:

- أباحوا أكل ما يذبح للأوثان، شجعوا على عبادة الوثنية.
- أتهموا أنهم أنكروا الإله، وأنه هو الذي خلق العالم ونسبوا الخلق إلى قوى أخرى.
- نادوا بمبدأ الاختلاط بالنساء الاختلاط غير المقيد بالزوجية وعاشوا حياة خليعة مستهترة.

نشأة هذه البدعة:

لنشئة بدعة النيقولاويين روايتين، هما:

١- يرى أبيفانيوس في كتابه – الرد على الهراطقة أن: نيقولاوس كان متزوجاً من امرأة على جانب كبير من الجمال وكان هائماً بحبه لها، فلما أصبح مسيحياً وتعلم أن حياة العزوبية (البتولية) تقود إلى القداسة أكثر من حياة الزوجية هجر زوجته، واتفق معها، أن يعيشا مفترقين، ولكنهما عادا بعد حين وعدل عن حياة الفرقة واستأنفا حياتهما الزوجية معاً، إما لأنهما إقتنعا بأن إفتراقهما كان خطأ، أو لأنهما لم يقويا أن يعيشا الواحد منهما منفصلاً عن الآخر، فلما رأى نيقولاوس أن سلوكه منتقداً أراد أن يبرر نفسه فأخذ ينادى بتعاليم مضادة للحق والطهارة. وأسلم ذاته لحياة الشر والخلاعة.. واقتدى به غيره فتكونت منه ومنهم طائفة تبعت تعاليمه وسيرته)

ولم يكن ابيفانيوس هو الوحيد له هذا الرأي ولكن ايده بعض آباء الكنيسة أمثال :ايريناوس، وأيرنيموس وايلاريوس وترتليانس وأغريغوريوس النيسى وأغريغوريوس الكبير وغيرهم.

٢- يرى القديس أكليمنضس الإسكندرى في كتاب المتفرقات: (قيل إنه كان لهذا الرجل امرأة صغيرة السن وجميلة، فلما وبخه الرسل على غيرته الشديدة عليها، بعد صعود المخلص أنه استحضر إمرأته أمام المؤمنين، وطلب منها أن يتخذها كل منهم خليلة له).

وقد قيل إنه فعل هذا لمبدأ كان ينادى به وهو: يجب على كل إنسان أن يذل جسده.

وسار أتباعه على منواله ومبادئه بل قيد في كل شيء بدون تفكير أو مناقشة وارتكبوا الفسق.. أما عنى أنا (أكليمنضس) فإني أفهم أن نيقولاوس لم يعاشر غير زوجته.. كذلك فيما يتصل بأولاده.. إن بناته كبرن وهن في حالة البتولية، وابنه أيضاً احتفظ بعفته، فلما حدث أنه أتى بزوجته التي كان يحبها ويغار عليها وجعلها في وسط الجميع أمام الرسل، كان ذلك منه جحوداً بأهوائه، وكان ضبطاً لنفسه في مواجهة اللذات التي يسارع الناس بشوق إليها، وفكره قاده إلى أن يقول: أذل الجسد لأني أعتقد أنه طبقاً لأمر المخلص لم يشأ أن يخدم سيدين، اللذة والرب، على أي حال يقول متياس أيضاً قد علم هذا التعليم :أن يحارب الجسد وأن يذل وأن لا يستسلم بأي نوع من أجل اللذة، بل أن تنمى النفس بالإيمان والمعرفة.

من النصوص الكتابية السابقة يتضح أن السيد المسيح يبغض أعمال وعقيدة النيقولاويين وأنه سيحاربهم بسيف فمه أي بالكلمة ومن دراسة فكر هذه الشيعة أو البدعة أو الهرطقة وسواء أكان الخطأ خطأ نيقولاوس نفسه طبقاً لرواية أبيفانيوس.. أو خطأ أتباعه وتلاميذه طبقاً لرواية أكليمنضس السكندري. . فإن النيقولاوية أصبحت مذهباً وبدعة وشيعة لها أتباع.

هرطقة نيقولاوس في كتابات الآباء:

١-يقول القديس إيريناؤس:النيقولاويون هم اتباع نيقولا أحد الشمامسة السبع (أع٦:٥)، هؤلاء يسلكون في الملذات بلا ضابط ويعلمون بأمور مختلفة كإباحة الزنا وأكل المذبوح للأوثان.

٢-يرى العلامة ترتليان والقديس جيروم أنه لما اختير للشموسية امتنع عن الإتصال بزوجته وبسبب جمالها عاد اليها ولما وبخوه على ذلك انحرف في البدعة اذ اباح الزنا. جاء رد الفعل في كتابات العلامة ترتليان حيث قال " كل الأشياء مشترك بيننا فيما عدا زواجنا ".

القديس جيروم: نيقولاوس أحد الشماسة السبعة والذي في فسقه لم يعرف الراحة ليل أو نهار انغمس في أحلامه الدنسة.

٣-يرى أخرون أنه كان يغير على زوجته جداً بسبب جمالها فلما ذمه البعض بسبب شدة تعلقه بها أراد أن يظهر العكس فأباح لمن يريد أن يأخذها فسقط في البدعة.

لا تحمل مسؤولية إنحراف نيقولاوس على الرسل القديسين، في رسالة وجهها القديس جيروم الى الشماس سابينيانوس يدعوه إلى التوبة وألا يتكل على من سامه أنه أسقف قديس قال فيها :أتوسل إليك أن ترحم نفسك، تذكر أن حكم الله سيحل عليك يوماً ما، الأسقف هذا الذي سامك لقد أخطأ هذا القديس في اختياره لك لكنه سيكون بريئاً ربما لأنه ندم على سيامته.

الغنوسية

الغنوسية تُعني حب المعرفة وهي حركة وثنية فلسفية ولكن يقول الفلاسفة أنها صعب دراستها لأنها ظهرت في وقت الناس فيه هجرت الفلسفة فعملوا مزيج من الفكر الإغريقي واليوناني والمصري القديم، والبابلية والفارسية وأخذت كثير من الإفلاطونية الحديثة فلا يستطيع فيلسوف أن يوصفها فأدخلوها بداخل اليهودية ثم إلى المسيحية.

أولاً: نشأة الغنوسية وإنتشارها:

١-بداية الحركة:

قبل ظهور المسيحية بوقت قليل، بدأت الديانات الوثنية تضعف وتنحط، بسبب تشكيك الفلسفة في مصداقيتها وأساطيرها وتماثيلها .فهب بعض الفلسفة لخلق تعليماً دينياً جديداً يوفق بين ديانات العالم وفلسفاته،ولا يشوبه نقائص المعتقدات الوثنية الحسية، فكانت بذلك بداية الفلسفة الغنوسية. فقد كانت للحركة الغنوسية جذوراً ترجع إلى ما قبل القرن الأول الميلادي، لكنها تبلورت بصورتها النهائية وزاد إنتشارها وتأثيرها خلال القرنين الثاني والثالث الميلادي.

٢-تسميتهم:

ترجع تسمية هذه الحركة بهذا الاسم، إلى الكلمة اليونانية "Gnosis" والتي تعني"معرفة أو الحكمة" حيث إدعى الغنوسيين أن هناك معرفة سرية، تفتح أمام الغنوسي أبواب المعرفة الفائقة، وفهم الذات والإتحاد بالله. وهي معرفة لا تأتي عن طريق العقل، بل عن طريق الإلهام .

٣-صعوبة دراستها:

الغنوسية حركة غامضة متعددة التيارات والآراء الفلسفية، حتى ان الباحثين لا يعرفوا على وجه اليقين أين أو متى ظهرت الغنوسية. والسبب في ذلك إنما يرجع إلى إنها لم تكن نتاج فلسفة أو

عقيدة بعينها، ولكن خليط من العقائد والمصادر المختلفة؛ فهي خليط ما بين الفلسفة الأفلاطونية والبوذية الهندوسية والديانة الزاردشتية (الفارسية). ويقال إن سيمون الساحر المذكور في (أع٨: ٩) هو أحد مؤسسيها، حتى قال أحد آباء الكنيسة عنه أنه أب كل هرطقة.

تأثرت بالبوذية يوجد لدينا قضية الخلاص نتخلص من الخطية الأصلية ومن حكم الموت وجاء المسيح فدانا وخلصنا وبالموت داس الموت.

أما الخلاص في الغنوسية والبوذية الروح كانت في عالم المُثل عندما سقطت اتحدت بالجسد هي مصدر الثنائية في الإنسان أن الروح مسجون في الجسد فالخلاص عندهم تحرر الروح من الجسد.

وتأثرت بالزرادشتية بها إله الخير وإله الشر يسمونها ديانات مثناوية (مزدوجة) يوجد إله خالق الشر وإله الخير فنعبد ونقدم قرابين للإثنين واحد كي يعطينا الخيرات ويحافظ على الزرع ويعطينا الأمطار والأخر كي نتقي شره. الله لا يريد الشر والشر بسماح منه فهو خالق الخير ولكن الشر بسماح منه فالشر ليس خارج سلطانه ولكن بسماح منه.

٤-أشهر فلاسفة الغنوسية:

باسيليدس وفالنتينوس، اللذان كان لكل منهما مدرسته الفلسفية الخاصة به.

وقد كان لهذه الفلسفة تأثيرها ونفوذها على شتى الأديان والفلسفات التي كانت منتشرة في ذلك الوقت .فقد تأثرت كتابات فيلو الفليسوف اليهودي الذي كان يعيش في الإسكندرية نحو ٢٠ ق.م و٥٠م كثيراً بالغنوسية.خاصة في تعليقاته على بعض أجزاء سفر دانيال ورؤيا باروخ.

كما نقرأ عن كيرنث الإسكندري اليهودي، الذي قال إن قبل ظهور المسيحية لم يكن الله الكلي الكمال معروفاً في العالم، فأظهره للعالم مسيا المسيح السامي؛ الذي حل في وقت العماد على الإنسان يسوع بشكل حمامة وفارقه في وقت الآلام.

ويظن بونيفاس أن بعض العقائد الغنوسية، إنتشرت وسط الشعب اليهودي منذ السبي البابلي؛ باندماجهم مع البابليين وتأثرهم ببعض تعاليمهم حول نشأة الكون ووجود إله للخير وإله للشر، الأمور التي تعد من أساسيات التعاليم الغنوسية.

٥- خطورتها على المسيحية:

كما دخلت الفلسفة الغنوسية إلى دائرة الفكر اليهودي والوثني، جاء الدور على الكنيسة؛ فوجد المسيحيون الأولون أنفسهم أمام الخطر الأشد على الكنيسة على مدار قرونها الثلاثة الأول.

وذلك للأسباب التالية:

١. انتشارها في نفس التوقيت وفي نفس المناطق التي انتشرت فيها المسيحية.

٢. دخولها إلى داخل الكنيسة عبر اعتناق بعض المسيحيين لتعاليمها ومنادتهم به.

٣. المزج بين الغنوسية والتعاليم المسيحية؛ فيقال إنه رغم أن سيمون الساحر كان سامريا، إلا أنه درس الديانات الشرقية في الإسكندرية، وقد إدعى أنه "قوة الله العظيمة" (أع٨: ١٠) وأنه جمع في شخصه كمالات اللاهوت. وبعد هزيمته أمام الرسول بطرس في (أع٨: ١٨-٢٤) ترك السامرة وانتقى البلدان التي لم تكن المسيحية قد انتشرت فيها بعد، وبدأ ينشر فيها تعاليمه، مازجاً إياها باسم المسيح.

٤. اتخاذ الغنوسيين فكرة فداء المسيح للإنسان من الخطية، وتحويلها لتكون فداء وتحرر الروح من المادة الشريرة.

٥. المشابهات الظاهرية بين التعاليم الغنوسية وبعض كتابات الرسول بولس "جسد هذا الموت"وعندما تكلم عن المسيح "صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ" (في٢: ٧) بمعنى شابهنا في كل شيء ما خلا الخطية فكان المسيح انسان كامل.

٦. التعاليم الغنوسية كانت تبدو أكثر جاذبية لمُحبي الفلسفة وأكثر روحانية لراغبي حياة الزهد والتقشف.

مثال اليوجا هي رياضه روحية خالية من الهدف ولكنها إذلال للجسد ولكن في المسيحية لا يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه.

ثانياً التعاليم الغنوسية الأساسية:

١. نظرتهم للمادة والعالم:

تشكل نظرة الغنوسيين للمادة وللعالم المادي حجر الزاوية الذي يقوم سائر التعاليم الغنوسية. فالغنوسيين ينظرون للمادة على إنها شر في حد ذاتها، لذا فالعالم لأنه مادي فهو شرير والجسد المادي شرير والخير هو في الأمور الروحية والعالم الروحي فقط. فكانوا ينظرون للروح والأمور

الروحية على إنها الحقيقة الوحيدة، بينما المادة ما هي إلا وهم يحتقر. ومصدر هذه المعتقدات من الفلسفة الأفلاطونية الحديثة.

٢. مثنوية الآلهة:

بناء على اعتقادهم بأن المادة والعالم المادي شر في حد ذاتهما، جاء الاعتقاد الثاني، الذي استمدته الغنوسية من الديانة الفارسية. وهو الافتراض بوجود إلهين مستقلان يعمل كل منهما في مجاله، أحدهما إله الخير أو إله مملكة النور الذي يهتم بالروحيات، وإله الشر أو إله مملكة الظلمة الذي يهتم بأمور المادة الشريرة. فبحسب الغنوسيين إله الخير لا يتعامل ولا يهتم سوى بالأمور الروحية، فهو لم يخلق العالم المادي الشرير، إنما خالقه هو إله الشر.

– الظلمة والشر ليس لهم كيان، المحبة والكراهية ليس صفاتين فالمحبة هي الصفة الأساسية لأن الله محبة مُطلقة فغياب المحبة عند البشر تُظهر الكراهية فالصفة الأساسية عند الله هي المحبة الله هو النور والظُلمة جاءت من غياب النور ووجود الظلام والكراهية ليس خارج سُلطان الله فسلطان مطلق بناءاً على احترامه لحرية الإنسان.

رسالة يوحنا الأولى في مضمونها هي رد على الغنوسية.

نادوا بإله أعلى لا يُدرك، صدرت عنه أرواح سموها أيونات، وأن هذه صدرت زوجاً فزوجاً ذكراً وأنثى، فتضاءلت في الألوهية كلما ابتعدت عن مصدرها الإله الأعلى.

صاغ الغنوسيين أساطير مُركبة لكي يقدموا تفسيراً لأصل العالم المادي، فمن الإله البدئي (الأزلي) السامي والصالح، الذي لا يمكن إدراكه، والذي يُطلق عليه عدة اسماء مثل الأب غير المعروف. ولد من هذا الأب (انبثق من ذاته) اثنان من الأيونات، الابن الوحيد الجنس أطلق عليه "العقل"، إلى جانب "الحق" هذان بدورهما أنتجا زوجين آخرين هما "الحياة العالمية"، "كنيسة الإنسان"، كل هذه المجموعات مع الأب يطلق عليهم ملء اللاهوت. كلاً من الحياة العالمية وكنيسة الإنسان أنتجا مجموعات أخرى من القوات الروحية (الأيونات) الآلهة الصغيرة.

إحدى تلك الآلهة واحدة اسمها صوفيا استبدت بها الرغبة (حبلت بهذه الرغبة) في معرفة الكائن الاعظم الذي لا يمكن إدراكه، وكان نتيجة تلك الرغبة غير المشروعة أن وُلد إله شرير مشوه، وهو الذي خلق هذا العالم المادي.

أطلق الغنوسيين على "الوسطاء الروحيين" في مجملها اسم "ملء الله" أو بليروما pleroma. وهي نفس الكلمة التي استخدمها الرسول بولس في حديثه عن المسيح إذ قال "أَنَّهُ فِيهِ سُرَّ أَنْ يَحِلَّ كُلُّ الْمِلْءِ" (كو١: ١٩). فالرسول بولس أراد تصحيح مفاهيم أهل كولوسي بقوله إن المسيح ليس واحداً من الوسطاء بين الله والناس إذ أنه "وَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ" (١تي٢: ٥)، ولا هو جزءًا من هذه البليروما، لكنه "فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا" (كو٢: ٩).

وقالوا إن أحد هذه الأيونات أراد أن يتعرف على مقام الإله الأعلى، فطُرد من العالم المعقول (طرد من الملء)، ثم أضافوا أنه صدر عن هذا الأركون الخاطئ أرواح شريرة مثله، وصدر العالم المحسوس الذي لم يكن ليوجد لولا الخطيئة، فهو والحالة هذه عالم شر ونقص بصانعه وبالمادة المصنوع منها.

وقالوا أيضاً إن هذا الأركون الخاطئ سجن الأرواح البشرية في أجسامها فكون الإنسان، وإن هذه النفوس تتوق إلى الخلاص، وإن الناجين قليل.

وعظموا الفراغ بين الإله الأعلى والعالم، وخشوا استحالة رجوع النفوس إلى هذا الإله، فقالوا بأيونات تصدر عن الإله الأعلى، ووجدوا فيها سلسلة من الوسطاء بين الأنفس والإله الأعلى، فإذا ما حاولت الأنفس الاجتياح من عالمها السفلي إلى العلوي، قالت كلمة السر لكل أيون تصادفه وتحولت إلى صورته. وكان القول بالوسطاء شائعاً فسماهم البعض مثلاً أخذاً عن الأفلاطونية، ودعاهم البعض الآخر كلمات أي القوى الطبيعية الكبرى بموجب الفلسفة الرواقية، وسماهم فيلون اليهودي "الملائكة" وغيره عبر عنهم بـ "الجن".

٣. الخلاص:

الغنوسية محاولة فلسفية دينية لتفسير الشر والخلاص منه، قسم الغنوسيين البشر إلى ثلاث طبقات متمايزة:

- طائفة أولى تشمل الروحيين الذين هم من أصل إلهي، وهم الغنوسيون صفوة البشر مختارون ليخلصوا.
- طائفة ثانية تتألف من الماديين، الذين لا يمكنهم الصعود فوق العالم السفلي.
- طائفة ثالثة تجمع الإثنين الذي قدر لهم الارتفاع والسقوط، النجاة والهلك.

واختلفوا في وسيلة النجاة:

فمنهم من قهر الجسم وطرح كل ما يثقل النفس ويمنعها من الوصول إلى المقر الذي هبطت منه. فكل البشر في رأيهم مكونون من جسد وعقل، ولكن أولئك الروحيين يمتلكوا في داخلهم شرارة من روح نقي، وهذه الشرارة الروحية سجينة في أجسادهم، تمكنهم هذه الشرارة من أن يتجددوا ويقبلوا ملكوت إله الخير المادية.

والخلاص عندهم يتم في لحظة التحرر من العالم والجسد المادي، إما عند لحظة موت الغنوسي، وانطلاق هذه الشرارة الروحية من جسده؛ أو عن طريق حياة الزهد والتقشف الصارمة، والبعد عن الإنغماس في الأمور المادية بقدر الإمكان. فقد مالت بعض الجماعات الغنوسية نحو التقشف، ليتمكن من الاقتراب أكثر إلى الله والزهد وإزلال الجسد، لعلهم يسموا فوقه نحو عالم الروح، وامتنع بعضهم عن الزواج بهدف العمل على انقراض البشرية.

فكتب عنهم الرسول بولس قائلا: "وَلكِنَّ الرُّوحَ يَقُولُ صَرِيحًا: إِنَّهُ فِي الأَزْمِنَةِ الأَخِيرَةِ يَرْتَدُّ قَوْمٌ عَنِ الإِيمَانِ، تَابِعِينَ أَرْوَاحًا مُضِلَّةً وَتَعَالِيمَ شَيَاطِينَ، فِي رِيَاءِ أَقْوَال كَاذِبَةٍ، مَوْسُومَةً ضَمَائِرُهُمْ، مَانِعِينَ عَنِ الزِّوَاجِ، وَآمِرِينَ أَنْ يُمْتَنَعَ عَنْ أَطْعِمَةٍ قَدْ خَلَقَهَا اللهُ لِتُتَنَاوَلَ بِالشُّكْرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَعَارِفِي الْحَقِّ. لأَنَّ كُلَّ خَلِيقَةِ اللهِ جَيِّدَةٌ، وَلاَ يُرْفَضُ شَيْءٌ إِذَا أُخِذَ مَعَ الشُّكْرِ، أَنَّهُ يُقَدَّسُ بِكَلِمَةِ اللهِ وَالصَّلاَةِ." (١تي٤: ١- ٥).

وفي تحذيره لكنيسة كولوسي من الفلسفة الغنوسية، كتب قائلاً: "اُنْظُرُوا أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ يَسْبِيكُمْ بِالْفَلْسَفَةِ وَبِغُرُورٍ بَاطِلٍ، حَسَبَ تَقْلِيدِ النَّاسِ، حَسَبَ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، وَلَيْسَ حَسَبَ الْمَسِيحِ."(كو٢: ٨) "إِذًا إِنْ كُنْتُمْ قَدْ مُتُّمْ مَعَ الْمَسِيحِ عَنْ أَرْكَانِ الْعَالَمِ، فَلِمَاذَا كَأَنَّكُمْ عَائِشُونَ فِي الْعَالَمِ؟ تُفْرَضُ عَلَيْكُمْ فَرَائِضُ: «لاَ تَمَسَّ! وَلاَ تَذُقْ! وَلاَ تَجُسَّ» الَّتِي هِيَ جَمِيعُهَا لِلْفَنَاءِ فِي الاسْتِعْمَالِ، حَسَبَ وَصَايَا وَتَعَالِيمِ النَّاسِ، الَّتِي لَهَا حِكَايَةُ حِكْمَةٍ، بِعِبَادَةٍ نَافِلَةٍ، وَتَوَاضُعٍ، وَقَهْرِ الْجَسَدِ، لَيْسَ بِقِيمَةٍ مَا مِنْ جِهَةِ إِشْبَاعِ الْبَشَرِيَّةِ." (كو٢: ٢٠-٢٣).

تعاملت بعض الجماعات الغنوسية الأخرى مع الجسد والروح على إنهما شيئان منفصلان، لا يتأثر أحدهما بالآخر، فأطلقوا الروح ترفرف في المعرفة والأفكار الروحية، وفي نفس الوقت تركوا

العنان لشهوات أجسادهم لتستبيح وتنغمس بلا ضوابط في هذا العالم الشرير إذ إدعوا أن إطلاق العنان للشهوات هو أيضاً احتقار للجسد المادي وإزلاله.

٤. المعرفة وسيلة الخلاص (موقفهم من الإيمان والمحبة):

نادت الغنوسية بأن وسيلة الخلاص هي المعرفة السرية "Gnosis "وليس بالإيمان، كما المسيحية وهذه المعرفة ليست هي المعرفة الحسية المتاحة للجميع والموجودة في الكتب المقدسة لكنها معرفة روحية سرية لم تكن متاحة سوى للغنوسيين فقط.

دحض القديس بولس الرسول هذه الادعاءات بشدة، واضعاً المحبة فوق المعرفة، فكتب إليهم يقول:

"الْعِلْمُ يَنْفُخُ، وَلكِنَّ الْمَحَبَّةَ تَبْنِي" (١كو٨: ١)،

"وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ، وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ، وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلَسْتُ شَيْئًا" (١كو١٣: ٢).

وفي رسالته لكنيسة كولوسي يقول إن المعرفة الحقيقية ليست من صنع الفلسفة، لكنها السر الذي أعلنه الله في المسيح، الذي يسكن في كل من يقبلونه (كو١: ٢٧) بدون تمييز بين يوناني ويهودي، عبد وحر (كو٣: ١١).

وكما لم يضع الغنوسيين الإيمان في حساباتهم، يصفهم القديس إغناطيوس الإنطاكي "بأنهم أيضاً لم يهتموا بالمحبة، ولا بالعطف على الأرامل والأيتام، ولا بمساعدة المقيدين"

٥. نظرتهم إلى الجسد البشري:

كان الغنوسيون ومن قبلهم الأفلطونيون ينفرون من عقيدة قيامة الأجساد، لأنهم اعتبروا الجسم شيئا رديئاً واتصال النفس به عقابا وحياتها معه سجناً.

لكن الجسد ليس شراً في ذاته:

يقول القديس كيرلس الأورشليمي: "لا تقل لي إن الجسد هو سبب الخطيئة، لأنه لو كان الجسد هو سبب الخطيئة فلماذا لا يخطئ الميت؟ ضع سيفا في اليد اليمنى لشخص مات حديثاً، تجده لا يرتكب جريمة قتل. اسمحوا لجميلات من أي نوع أن تمر أمام شاب مات لتوه، فلا تثور فيه رغبة نجسة. لماذا؟ لأن الجسد لا يخطئ من ذاته، ولكن النفس هي التي تخطيء من خلال

الجسد، في حين أن الجسد هو أداة، هو كساء ورداء للنفس، فإذا قبل هذا الأخير الزنى بواسطة الجسد، فإنه يصبح مدنساً ولكن إذا كان الجسد يسكن مع النفس المقدسة، فإنه يصبح هيكلا للروح القدس. وهذا ليس كلامي، لكن الرسول بولس يقول: "أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ، الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ، وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟" (١كو٦: ١٩) وبالتالي، احفظ جسدك باعتباره هيكلا للروح القدس، فلا تلوثه في الزنا، لا تنجس رداءك. وإذا كنت في أي وقت مضى قد دنست ذاتك، فتطهر الأن بالتوبة، أغتسل تجد نفسك، فالوقت لم يفت بعد."

لذا يخطئ كل من يظن أن الجسد شَراً في ذاته، وإليك الأدلة على ذلك:

١. لو كان الجسد شراً لما خلقه الله: في العهد القديم كانت هناك ظهورات:

⇦ عندما ظهر لابراهيم في هيئة ثلاث رجال اقنوم الكلمة وملاكان اللذان ذهب لسدوم بعد ذلك.

⇦ يعقوب صارعه إنسان إلى مطلع الفجر.

٢. في التجسد الإلهي أتخذ الابن هذا الجسد "والكلمة صار جسداً" (يو١: ١٤) وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر في الجسد (١تي٣: ١٦)، فلو كان الجسد شراً ما كان اللاهوت اتحد به في التجسد الإلهي.

٣. معجزات السيد المسيح فهو لم يعلم بالروح فقط ولكن اهتم بالجسد معجزات شفاء للجسد، اهتم بالجسد المادي، إشباع الجموع.

٤. عظام أليشع النبي أقامت ميت (٢مل١٣: ٢١).

٥. لو كان الجسد شراً لما كنا نكرم أجساد القديسين ورفاتهم، ونلتمس منها البركة.

٦. الجسد يشترك مع الروح في العبادة فيقدم السجود ويقف للصلاة (مز١٤١: ٢) (١كو٦: ٢٠).

٧. هذا الجسد هيكل الله (١كو٣: ١٦-١٧).

٨. لو كان الجسد خطيئة، ما كان الله يقيمه في اليوم الأخير (في٣: ٢١).

الدوستيين

هي نتيجة أو ثمرة للغنوسية فالغنوسية تقول إن المادة شر هل الله يأخذ جسد شرير استحالة فيبدو أنه أخذ جسداً.

رفضوا أن يكون للمسيح جسد حقيقي وقالوا إنه عبارة عن كائن روحي ظهر لنا في شكل جسدي.

الكتاب المقدس أكد لنا حقيقة ناسوت المسيح جاع، عطش، نام كل هذا يؤكد حقيقة ناسوته قبل ما يؤكد لنا حقيقة لاهوته هنا كامل في لاهوته وناسوته.

فمن يشكك في طبيعة المسيح يهد قضية الخلاص؟

يهمنا خلاصنا لو المسيح يبدو إنه أخذ جسداً إذاً ليس هناك خلاص.

فأكد التلاميذ على ذلك رايناه– شاهدناه– لمسته أيدينا.

دوستين من كلمة دوستي (يبدو أن) فهي ناتجة عن الغنوسية شككت في ميلاد المسيح وصلبه وقيامته فبالتالي هدمت عقيدة الخلاص.

الدوسيتية كما جاءت في اليونانية "Doketai"، من التعبير "dokesis والفعل dokeo"، والذي يعني "يبدو to seem"، "يظهر، يرى"، وتعني أيضاً الخياليةPhantomism، وهي هرطقة ظهرت في القرن الأول، في عصر رسل المسيح وتلاميذه، تنادي بأن جسد المسيح كان خيالاً، وولادته وآلامه وموته مجرد ظهور أو مظهر خارجي.

كما ذكر القديس أكلمنضس الإسكندري مدير مدرسة الإسكندرية اللاهوتية سنة ٢١٦م، أن جولياس كاسيانوس (Cassianus Julias) مؤسس الخيالية.

ويصفهم العلامة هيبوليتوس (سنة ٢٣٥م) باعتبارهم من الفرق الغنوسية الذين كانوا يعتقدون أيضاً بالخيالية، وقد جاءت نتيجة خلط الفكر الفلسفي اليوناني الوثني، بالمسيحية، وهي تنادي بأن السيد المسيح هو روح خالصة نقية وجسده خيالي، وأن آلام السيد المسيح وموته على الصليب كان ظاهرياً وليس حقيقة، فينادون بأن الذين قتلوه وصلبوه لم يقتلوه ولم يصلبوه لأنهم كانوا واهمين (شبة لهم)، وأنهم لم يقتلوه حقيقة، فالذي رأه اليهود والرومان معلقاً على الصليب كان مجرد طيف (phantom)، وهذا الطيف هو الذي كانوا يعذبونه بلا جدوى، وأن بشرية المسيح كانت ظاهرية وليست حقيقية، لأنه في الفكر اليوناني الألوهية بعيدة الصفات البشرية.

قال القديس جيروم (سنة ٤٢٠م) عن بداية ظهور فكرهم بأسلوب مجازي ما نصه " بينما كان الرسل أحياء وكان دم المسيح لا يزال ساخناً (Fresh) في اليهودية، قيل إن جسده مجرد خيال.

بنت الدوسيتية أفكارها على أساس الأفكار الغنوسية التي تنادي بأن:

١. المادة شر.

٢. التضاد بين الروح وبين المادة التي هي شر في نظرها.

٣. نادت بأن الخلاص يتم بالتحرر من عبودية وقيود المادة، والعودة إلى الروح الخالص للروح السامي.

٤. فسرت التجسد الإلهي بأن الله، غير مرئي وغير معروف، وسامي، وبعيد جداً عن العالم، ولما جاء المسيح الإله إلى العالم من عند هذا الإله السامي ومنه، وباعتباره إله تام لم يأخذ جسداً حقيقياً من المادة التي هي شر لكي لا يفسد كمال لاهوته، ولكنه جاء في شبه جسد، كان جسده مجرد شبح أو خيال أو مجرد مظهر للجسد، بدا في شبه جسد كإنسان وبالتالى ظهر للناس وكأنه يأكل ويشرب ويتعب ويتألم ويموت، لأن الطبيعة الإلهية بعيدة عن هذه الصفات البشرية، بدا جسده وآلامه كأنهما حقيقيان ولكنهما في الواقع كانا مجرد شبه.

لم يكن الدوسيتين جماعة واحدة بل عدة جماعات، فهذه البدعة تعددت صورها:

١-فإحداها أنكرت بشرية المسيح، وانكروا اتخاذ أي جسد أو نوع من البشرية على الأطلاق. أي كان روحا إلهياً وليس إنساناً فيزيقياً.

٢-الأخرى وافقت على تجسده، لكن أنكرت آلامه وقالت إنه أقنع أحد اتباعه- يهوذا الإسخريوطي أو سمعان القيرواني _ بأن يصلب بدلاً منه على الصليب.

٣-أن الأيون Aeon، إي الإله، المسيح جاء في شبه جسد حقيقي.

٤-قال غيرهم إنه اتخذ جسداً نفسياً Psychic، عقلياً، وليس مادياً.

٥-وقال البعض انه اتخذ جسداً نجمياً Sidereal.

٦-وقال أخرون انه إتخذ جسداً، ولكنه لم يولد حقيقة من امرأة.

وجميعهم لم يقبلوا فكرة أنه تألم ومات حقيقة، بل قالوا إنه بدا وكأنه يتألم وظهر في الجلجثة كمجرد رؤيا.

وكان أول من استخدم تعبير الدوسيتية Doketai – δοκεται هو سيرابيون أسقف أنطاكية (١٩٠-٢٠٣م) في حديثه عن إنجيل بطرس الأبوكريفي المنحول والمزور، ويقول عنه وعنهم "لأننا حصلنا على هذا الإنجيل من أشخاص درسوه دراسه وافيه قبلنا، أي من خلفاء أول من استعملوه الذين نسمهم دوكاتى Doketai – δοκεται "لأن معظم آرائهم تتصل بتعليم هذه العقيدة، فقد استطعنا قراءته

ووجدنا فيه أشياء كثيرة تتفق مع تعاليم المخلص الصحيحة، غير أنه أضيف إلى تلك التعاليم إضافات أشرنا إليها عندكم"

هذا بالرغم من قول الكتاب المقدس...

"وَأَمَّا هذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ." (يو ٢٠: ٣١)

"بِهذَا تَعْرِفُونَ رُوحَ اللهِ: كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ رُوحٍ لاَ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ. وَهذَا هُوَ رُوحُ ضِدِّ الْمَسِيحِ الَّذِي سَمِعْتُمْ أَنَّهُ يَأْتِي، وَالآنَ هُوَ فِي الْعَالَمِ." (١يو٤: ٢- ٣)

"لأَنَّهُ قَدْ دَخَلَ إِلَى الْعَالَمِ مُضِلُّونَ كَثِيرُونَ، لاَ يَعْتَرِفُونَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ آتِيًا فِي الْجَسَدِ. هذَا هُوَ الْمُضِلُّ، وَالضِّدُّ لِلْمَسِيحِ." (٢يو١: ٧).

كما أشار إليهم القديس أغناطيوس الأنطاكي Ignatius of Antioch ومعظم أباء الكنيسة في القرن الثاني، خاصة والقديس إيريناؤس Irenaeus قاموا بالرد على الهرطقة وكان دفاع الآباء عن التجسد الحقيقي لابن الله يستند على تعاليم العهد الجديد في عقيدة الخلق، التي بموجبها يصير العالم المادي ليس وهماً ولا شراً وإنما هو خير في جوهره.

ولإلهنا الْمَجْد الدائم مِنْ الْآنَ وإِلَىّ الْأَبَد أمين